المحور الأوّل: مدخل إلى اللسانيات الاجتماعية

✓ **الأهداف الإجرائية:**

1- أن يكون الطالب في نهاية المحاضرة قادرًا على تحديد نشأة و استقلال اللسانيات الاجتماعية.

2- أن يكون قادرًا على تحديد انشغالاتها و اهتماماتها.

تمهيد: يعدّ البحث عن العلاقة بين اللغة والمجتمع من المواضيع الّتي أثارت انتباه الإنسان منذ القدم، وترجع الأسبقية إلى اليونانيين الّذين أبدوا ملاحظات تتعلّق بوجه خاص بالاختلافات الموجودة بين لهجة أثنا وباقي اللهجات المجاورة بل كانوا على وعي بوجود لغات أخرى مختلفة تماما عن لغتهم، مما جعلهم يتقنون بعض هذه اللغات لتسهيل التواصل الدبلوماسي والتجاري بين أثنا وباقي المستعمرات[1]

كما اثبت النحّاة العرب القدامى اهتمامهم باللهجات العربية وبالسياق، وتنوّع الأساليب اللغوية، يقول ابن جنّي "كلّما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد" [2]، لذلك سعى علم اللغة الاجتماعي إلى توجيه النظر إلى المحددات الاجتماعية للغة، وإلى الأسس الاجتماعية للغة وتأثيرها في المجتمع.

1- الإرهاصات والنشأة:

مع ظهور اللسانيات الحديثة، أكّد سوسير أن اللغة مؤسسة اجتماعية فدراستها ما هي إلّا دراسة لنسق من الوقائع الاجتماعية، حيث أن الكلمة لا تأخذ قيمتها إلّا داخل نسقها اللغوي والاجتماعي، غير أنّ إشارة سوسير لم تخرج عن إطار وصف البنية اللغوية الداخلية ضمن جماعة لغوية مثالية، فاجتماعية اللغة —عند سوسير- "مبدأ عام أو نوع من التحفيز سيتبناه اللسانيون البنيويون فيما بعد، دون أن يكون لهم الوسائل الاستكشافية لبلورة هذا الإثبات، ممّا يعني ترك الجانب الشكلي للغة، والمرور إلى شيء آخر هو اللسانيات الشكلية أي وصف اللغة في ذاتها ولذاتها" [1]

[1] -Christina Paulston, Sociolinguistics, The essential Reading, Blackwell publish, Berlin, 2003, P4.

[2]- ابن جني: الخصائص، عالم الكتب، بيروت، دط، 1983.

لقد تلقف تلميذ سوسير **ميّي** (Meillet) فكرة أستاذه ولكن بإضافة "مفهوم الظاهرة اللغوية بمحتوى أكثر دقّة ودوركايمي جدًا ...وقد كان مسعى **ميّي** عبارة عن برامج، فقد ظلّ يدعو إلى الاحتفاء بالطابع الاجتماعي للسان"[2]، فإذا كان سوسير يقابل بين اللسانيات الداخلية والخارجية، فإن **ميّي** قد جمع بينها لذلك أشار إلى أنّ فهم أحداث اللغة يتمّ ضمن مقتضيات اجتماعية إذ يستلزم أن يكون في صلب النظرية اللسانية، فاللغة في رأيه "حدث اجتماعي ونظام يتماسك فيه الكل في آن واحد، وهو يحاول باستمرار أن يلتزم بهذا التعريف الثنائي للغة" [3]، وهو بهذا قد خالف التصوّر السوسوري حول اجتماعية اللغة فعدّ بذلك أنطوان ميّي أوّل من واجه فكرة السمة البنيوية الّتي تركّز على شكل اللغة، من خلال ترسيخ فكرة جديدة تركّز على وظائفها الاجتماعية.

كما نشر **بول لافارغ** (Lafargue) في الفترة نفسها مقاربة اجتماعية للغة تتّسم بالتطبيق أكثر، ركّزت على دراسة التغيرات الّتي طرأت على المفردات الفرنسية قبل الثورة وبعدها، أين تمّ ربط التغيّر اللغوي بالتغيّر السياسي، وتعدّ هذه المحاولة "أوّل محاولة لتطبيق نوع من التحليل الاجتماعي على أحداث اللغة" [4]

وأسّست اللسانيات الاجتماعية لوجودها الفعلي بالو.م.أ أكثر حينما ربطها **بارنستاين** (Bernstein) بمجال التربية والتعليم، فكان أوّل من اهتمّ بالإنتاج اللغوي للمتكلّمين وبالانتماء الاجتماعي، فقد وصل في دراسته إلى أن "تباين اللغة بين المتعلّمين يعود إلى التباين الاجتماعي والثقافي القائم بين أوساطهم الاجتماعية المرجعيّة، وأنّ مستوى لغة الطفل يتحدّد بمستوى وطابع الحياة الثقافية للوسط الّذي ينتمي إليه" [5]، لذلك قام بتحليل إنتاجات الأطفال اللغوية، وتوصّل إلى وجود رامزين (سنرين) من التعبير: الأوّل سمّاه بالرامز الغني(الثري) الّذي ينتجه أطفال الطبقة الراقية إذ يمتاز بالتنوّع في المعجم اللغوي، واعتماد الجمل النحوية المركّبة والطويلة، أمّا الشفرة الخاصة بأطفال

---

[1]– عبد الحميد دباش: اللغويات الاجتماعية، مجلة الأثر، ورقلة، الجزائر، ع3، ماي2004.

[2]– جون لويس كالفي: علم الاجتماعي اللغوي، تر: محمّد يحياتن، دار القصبة، الجزائر، دط، 2006، ص13-14.

[3]– عبد الحميد دباش، ص17.

[4]– نفسه، ص18.

[5]– علي أسعد وطفة: اللغة والانتماء الاجتماعي –رؤية نقدية في طروحات بازيل برنستاين، منشورات مركز الرافدين للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2013، ص183.

الطبقة الفقيرة والّتي وسمها **برنستاين** بالرامز المحدود، فامتازت بالألفاظ القليلة والمحدّدة، وبجمل بسيطة مختصرة، وأكّد برنستاين أنّ هذا الرامز "شكل عائقا لمتكلّميه في تعلّمهم وتفوّقهم"[1]

لقد وصل **برنستاين** في دراسته هذه إلى أنّ الأساليب اللغوية المختلفة يعزى استخدامها إلى فوارق اجتماعية في الطبقة والمكانة والتعليم، إذا تعدّ اللغة بهذا محدّد للانتماء الاجتماعي والطبقي، إذ تعبّر عن انتماءاتنا، لذلك "تظهر الاختلافات الطبقية في اختيار المفردات اللغوية وطريقة استعمالها"[2]

وتعدّ دراسة **برنستاين** من الدراسات التطبيقية الّتي مهّدت لظهور علم اللغة الاجتماعي، لكنها أتبعت بدراسات أخرى، لعلّ أهمّها ما قام به **وليام ليبوف** (Labov) سنة 1966، والّتي ضمّنها كتابه الّذي حمل صراحة عنوان العلم الجديد " Sociolinguistique"، من خلال تركيزه على كيفية نطق الإنجليزية لدى الأمريكيين السود وربطها بالانتماء الطبقي والاجتماعي، وكذا الفوارق الاجتماعية الّتي تنمّ عنها آلية نطق صوت (R) في باريس وضواحيها، وعلاقتها بالانتماء الأرستقراطي.

وبالرغم من تلك المساهمات الّتي ذكرت ولم تذكر(كـ **فيشمان**، **فرغسون**، **برايت**، **ترادقيل**، **جغليلو**...) الّتي زكّت ضرورة دراسة اللغة داخل محيطها، لم يظهر هذا العلم كعلم مستقلّ عن اللسانيات العامة إلّا في سبعينيات القرن الماضي يجعل من دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع أساسًا لوجوده واهتمامه.

2 – في تحديد تعريفه1:

يعرّف اللسانيات الاجتماعي بأنّه "فرع من علم اللغة، ويختصّ بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية"[3]، أو هو "علم يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني من حيث استعمال اللغة، والتنظيم الاجتماعي لهذا السلوك" [4]، أي "دراسة

---

[1]– كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ص20.

[2]– ماريو باي: لغات البشر، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، دط، 1970، ص83.

[3]– محم.د حسن عبد العزيز: علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2009، ص10.

[4]– J.A.Fishman: The sociology of Language, New Bury house, 1972, p1.

اللغة في علاقتها بالمجتمع"[1]، من حيث الاهتمام بالسياقات الاجتماعية الّتي تكتسب ثم تستخدم فيها اللغة، وتطبيق النظريات الّتي تمّدنا بها اللسانيات العامة للبحث عن بدائل التعبير اللغوي الّتي تستخدمها المجموعات الاجتماعية، فالأساس- إذن- هو التركيز على العلاقة القائمة بين الأشكال اللغوية، والمتغيرات الاجتماعية الّتي تضبط استعمالات اللغة من خلال وصف وضبط هذا النسق الاجتماعي، الّذي يحدّد استعمالها في سياقات اجتماعية متنوّعة، أي دراسة من يتكلّم وبأي لغة يتكلّم، ومع من يتكلّم، ومتى يتكلّم، وهذه كلّها متغيرات سياقية تحدّد الشكل اللغوي والأسلوب المفروض أن يستخدم في هذا السياق حتّى تنتج عملية التخاطب.

يحدّد **فاسولد** Fasold جوهر اللسانيات الاجتماعيةِ في حقيقتين متعالقتين:

-الحقيقة الأولى أنّ اللغة تتنوّع، أي قدرة المتكلّم على التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من طريقة، ويتجسّد هذا التنوّع أساسا في الفروق الصوتية، والخيارات بين اللغات الّتي يقوم بها المتحدّث.

-أمّا الحقيقة الثانية فتكمن في وجود هدف ملحّ من استخدام اللغة وهو خدمة هذا المتكلّم من حيث كشفها عن هويته، وإلى أيّ جماعة ينتمي (وهو ما سماه التعريف بالوضع الاجتماعي)[2].

3 – بين علم الاجتماعي اللغوي وعلم اللغة الاجتماعي:

أدّت الفوضى المصطلحية الّتي تعيشها بلداننا العربية، إلى حدّ عدم التفريق بين هذين العلمين، بل حتّى إلى إطلاق الأول على الثاني نتيجة الترجمة الحرفية (*)، فصبري إبراهيم السيد مثلا أكّد أن الفرق "فرق توكيد" [3]؟!

---

[1]- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ص12.

[2]- ينظر، فاسولد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، تر: إبراهيم بن صالح محمّد الفلاي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، د ط، 2000، مقدمة المؤلف.

[*]- مثلا ترجم محمّد يحياتن كتاب كالفي Sociolinguistique: علم الاجتماع اللغوي بالنظر إلى السابقة socio

[3]- صبري إبراهيم السيد: علم اللغة الاجتماعي- مفهومه وقضاياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط،1995، ص17

يفصل هدسون في هذه القضية، محدّدا الاختلاف في محور الاهتمام الّذي يركّز عليه الباحث" الاختلاف بين علم اللغة الاجتماعي، وعلم الاجتماع اللغوي ليس اختلافا في العناصر، وإنّما في محور الاهتمام، ويستند ذلك إلى الأهمية الّتي يوليها الدارس للّغة أم للمجتمع، وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية" [1].

إنّ القضايا الّتي يهتم بها علم الاجتماع اللغوي هي القضايا المجتمعية الكبرى، وكذا تأثير اللغة فيها، بعدّها خصيصة أو مظهرا من مظاهرها، وهو هنا فرع من علم عام هو علم الاجتماع، ولهذا فعلم الاجتماع اللغوي يهتمّ بتفاعل اللغة مع الوضع الاجتماعي من خلال التركيز على علاقة اللغة بالتنظيم الاجتماعي، فيخص الجوانب اللغوية المرتبط بالطبقة والمركز الاجتماعي.

أمّا علم اللغة الاجتماعي فهو جزء من دراسة اللغة، تكمن قيمته في إلقاء الضوء على طبيعة اللغة بوجه عام، وعلى خصائص لغة ما فيتّخذ "من اللغة وقضاياها أساسا لمناقشة مستفيضة لها، بداية بوصف اللغة هي الموضوع الرئيس له، مع الإشارة إلى علاقتها بالمجتمع" [2] بهدف إيضاح خصائصها، وفهم البنيات اللغوية داخل السلوكات الاجتماعية.

علم الاجتماع اللغوي(الوسيلة علم الاجتماع)

المجتمع ⟵ ⟶ **اللغة**

علم اللغة الاجتماعي (الوسيلة علم اللغة)

4- اهتمامات اللسانيات الاجتماعية:

1- انطلاقا من المفهوم الجديد للغة الّتي عدّت ظاهرة اجتماعية، كانت أهمية الدرس السوسيولساني، لذلك وبناء على هذا التصور، تهتم اللسانيات الاجتماعية برصد أبعاد هذه العلاقة وأشكالها المختلفة، الّتي تظهر في تعدّد المستويات

[1]- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص17.

[2]- السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، مصر، د ط، 1995، ص 55.

اللغوية في المجتمع الواحد، أو تعدّد اللغات واللهجات أيضا، والسعي إلى تحديد الجماعات الّتي تستخدمها، سواء أكانت هذه الجماعات عرقية أم دينية أم مهنية أو حتّى طبقية.

2-كما يعدّ موضوع الاختيار الأسلوبي من أهمّ قضايا اللسانيات الاجتماعية، ويمسّ ذلك اللغة الواحدة أو عدّة لغات، ويتضمّن "أسسّا اجتماعية، فالاختيار من الفصحى أو العامية، أو من لغة أخرى إنّما هو في أساسه سلوك اجتماعي، يعكس شيئا آخر من الموقف، وينبغي أن يلاحظ في ذاته وفي إطاره هو"[1].

3-تهتمّ بالتخطيط اللغوي ورسم السياسات اللغوية للدول، وانعكاساتهما على تطوير اللغة المحلية، والحفاظ على الهوية اللغوية للمجتمعات.

4-درس الصراعات اللغوية، والعوامل المساهمة في هذه الحروب اللغوية، والآثار الاجتماعية واللغوية المترتبة عن هذه الصراعات.

5-دراسة التباين الاجتماعي الّذي يظهر في المجتمع اللغوي، من خلال تسجيل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما ترصد اللسانيات الاجتماعية التحوّل الاجتماعي من طبقة إلى أخرى، وأثر ذلك على الأشكال اللغوية الّتي يختارها أفراد تلك الطبقة.

6-تحديد معاني الكلمات من خلال العودة إلى سياقها الاجتماعي ومواقف قائليها، ومكانتهم في الطبقات الاجتماعية.

7-تدرس محظور الكلام، لأنّ هذه الظاهرة من " الظواهر اللغوية الّتي ترتبط بالمجتمع أو الجماعة اللغوية ارتباطا وثيقا، كما أنّ استعمال اللغة يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر"[2].

وسعيا منها لتحقيق هذه الأهداف، انقسمت اللسانيات الاجتماعية إلى نظرية وميدانية [1]، فمقاربة الأولى تعتمد بالأساس على معطيات لغوية تجمع بطريقة علمية منظّمة، وعلى حقائق سوسيولسانية، تساهم في بناء إطار

[1]- عبده الراجحي: اللّغة وعلوم المجتمع، دار النهضة العربية، لبنان، ط2، 2004، ص11.

[2]- سامي عياد حنا وآخرون: معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي، عربي)، مكتبة لبنان، ناشرون، د ط، 1997، ص132.

تحليلي يضم مجموعة من التّصورات والمفاهيم الخاصة لوصف العلاقة بين اللغة والمجتمع كمفهوم اللغة، اللهجة، المخاطب، السياق، المحادثة...

5- اتجاهاتها: اقترح **هدسون**(Husson) سنة 1980 تقسيمًا لعلم اللغة الاجتماعي، ميّز فيه بين النظري والتطبيقي:

أ-اللسانيات الاجتماعية النظرية: وتعتمد مقاربته على معطيات لغوية تجمع بطريقة علمية منظّمة، وعلى "حقائق سوسيولسانية يتوصّل إليها الباحث بناءً على تجربته الشخصية" [2]، متسمح هذه المقاربة بتكوين إطار تحليلي يشمل مجموعة من المصطلحات الّتي تؤسس فيما بعد للدراسة التطبيقية كمفهوم اللغة، المتكلّم، التواصل، اللهجة، ... وكلّها تصف العلاقة بين اللغة والمجتمع.

ب- اللسانيات الاجتماعية التطبيقية: و تقوم على مناقشة القضايا النظرية ذات التأثير العملي الّتي حدّدها اللسانيات الاجتماعية النظرية سابقًا، وتمحيصها ثمّ تطبيقها [3]، فهي دراسة تقوم على التجربة الميدانية الّتي تسعى إلى تأكيد مصداقية بعض الفرضيات النظرية، وتعيد النظر في البعض الآخر.

ويظلّ مجال اللسانيات الاجتماعية النظرية محدودًا مقارنة بالتطبيقية الّتي تتمتّع بالسبق في ازدهار هذا الميدان المعرفي، وفي تزايد الاهتمام به، ويمكن أن نرجع ذلك إلى نتائج الأبحاث الميدانية الّتي يصل إليها الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة العلمية.

ورغم هذا الاختلاف المنهجي بين السوسيولسانيات النظرية والميدانية يوجد مع ذلك تفاعل مستمر بينهما، بحيث تنتج الأولى مجموعة من الفرضيات والتصورات النظرية، فتقوم الثانية بإخضاعها للتجربة الميدانية الّتي تؤكد مصداقية بعض هذه الفرضيات.

---

[1]- ينظر، هدسون، ص13 .

[2]- محمّد الأمين مومين، مقدمات في السوسيولسانيات –التأويل الاجتماعي للغة-، مقال منشور في:
Sociolinguistics – The Essential Readings, Black well Publishing, Berlin, 2004, P155.

[3]- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ص13.

خاتمة:

لقد تطوّرت اللسانيات الاجتماعيّ ووجه ت نظره ا إلى المحدّدات الاجتماعية للغة أي العلاقات المتبادلة بين اللغة والمجتمع، فبظهوره ا انتقل التوجه من النظام اللغوي إلى التواصل الواقعي، ومن اللغة إلى الكلام، ومن البنية إلى الوظيفية، ومن الشفرة إلى السياق.